ابن سلام واصحابه لانهم الموثوق باخبارهم وقيل المراد به كل اهل الكتاب سوا مومنهم وكافرهم لان المقصود من
هذا السوال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانهم يكتبون عندهم صفته ونعته فاذا اخبروا
بذلك فقد حصل المقصود والاول اصح قال الضحاك يعني اهل التقوى واهل الايمان من اهل الكتاب ممن
ادرك النبي صلى الله عليه وسلم لقد جاءك الحق من ربك هذا كلام مستانف منقطع عما قبله وفيه معنى القسم
تقديره اقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان اهل الكتاب يعلمون صحة ذلك فلا تكونن
من الممترين يعني الشاكين في صحة ما انزلنا اليك ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله يعني بدلايله وبراهينه
الواضحة فتكون من الخاسرين يعني الذين خسروا انفسهم واعلم ان هذا كله على ما تقدم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
في ظاهره والمراد به غيره ممن عنده شك وارتياب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بايات
الله فثبت بذلك انه المراد به غيره والله تعالى اعلم قوله عز وجل ان الذين حقت عليهم يعني وجبت عليهم كلمة ربك
يعني حكم ربك وهو قوله خلقت هولا للنار ولا ابالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم
وقضاه في الازل لا يومنون ولو جاءتهم كل اية لانهم لا يومنون بها حتى يروا العذاب الاليم فحينئذ لا ينفعهم الايمان
لان الله تعالى قد حكم عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شي قوله تعالى فلولا يعني فهلا كانت قرية وقيل
معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان في الاستفهام معنى الجحد والمراد اهل كل قرية امنت يعني عند معاينة
العذاب فنفعها ايمانها يعني في حال الياس الا قوم يونس هذا استثنا منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم امنوا فنفعهم
ايمانهم في ذلك الوقت وهو قوله لما امنوا يعني اخلصوا الايمان كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم
الى حين يعني الى حين انقضا اجالهم واختلفوا في قوم يونس هل راوا العذاب عيانا ام لا فقال بعضهم راوا دليل
العذاب فامنوا وقال الاكثرون انهم راوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون
الا بعد الوقوع او اذا قرب وقوعه ذكر القصة في ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير
ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من ارض الموصل وكانوا اهل كفر وشرك فارسل الله عز وجل
اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقيل له اخبرهم ان
العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشي
وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم
العذاب فوق روسهم قال ابن عباس ان العذاب كان اهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا
قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشي قوم يونس العذاب
كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السما غيما اسود هايلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي
مدينتهم واسودت اسطحتهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم
التوبة فخرجوا الى الصحرا بانفسهم ونسايهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الاسلام والتوبة
وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض الى البعض فحنت الامهات الى الاولاد والاولاد
الى الامهات وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا امنا بما جاء به يونس وتابوا الى الله واخلصوا
النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف ما نزل بهم من العذاب بعد ما اظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشورا وكان
يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل لياتي الى الحجر وقد وضع اساس
بنيانه عليه فيقتلعه فيرده وروى الطبري بسنده عن ابي الجلد جيلان قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا
الى شيخ بقية من علمايهم فقالوا انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى

وياحي

ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين وقال الفضيل بن عياض قالوا اللهم
ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله قال وخرج يونس
وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيا فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذابا وكان من كذب ولا
بينة له قتل فانصرف اليهم مغاضبا فالتقمه الحوت وستاتي القصة في سورة الصافات ان شا الله تعالى
فان قلت كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن
فرعون حين امن ولم يقبل توبته قلت اجاب العلما عن هذا باجوبة احدها ان ذلك كان خاصا بقوم
يونس والله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد الجواب الثاني ان فرعون ما امن الا بعد ما باشر العذاب وهو
وقت الياس من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكان كالمريض يخاف الموت
ويرجو العافية والجواب الثالث ان الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون
فانه ما صدق في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل الله منه ايمانه والله تعالى اعلم قوله تعالى ولو شا ربك لامن من
في الارض كلهم يعني يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شا الله يا محمد لامن بك وصدق
بك من في الارض كلهم جميعا ولكن يشا ما يريد فكيف يومن بك الا من سبقت له السعادة في الازل قال ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يومن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبر الله عز
وجل انه لا يومن به الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ولا يضل الا من سبق له الشقاوة في الذكر الاول
وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم فاخبر الله انه لا يومن به الا من سبقت له
العناية الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين
يعني ليس ايمانهم اليك يعني تكرههم عليه او تحرص عليه انما ايمان المومن واضلال الكافر بمشية الله تعالى وقدره
ليس لاحد ذلك سواه وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله يعني وما ينبغي لنفس خلقها الله ان تومن وتصدق الا بتوفيق
الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله هو الهادي المضل وقال ابن عباس يعني باذن الله بامر الله وقال عطا بمشية
الله قوله تعالى ويجعل قري بالنون على سبيل التعظيم اي ونجعل نحن وقري بالياء ومعناه ويجعل الله الرجس يعني العذاب
وقال ابن عباس يعني السخط على الذين لا يعقلون يعني لا يفهمون عن الله امره ونهيه قوله تعالى قل انظروا اي قل يا محمد
لهولا المشركين الذين يسالونك الايات انظروا يعني انظروا بعقولكم نظر اعتبار وتفكر وتدبر ماذا في السموات
والارض يعني ماذا خلق الله في السموات والارض من الايات الدالة على وحدانيته ففي السموات الشمس والقمر
وهما دليلان على الليل والنهار والنجوم تجري ما طالعة وغاربة وانزال المطر من السما وفي الارض الجبال والبحار
والانهار والاشجار والنبات كل ذلك ايات تدل على وحدانية الله تعالى وما احسن ما قال الشاعر
وفي كل شي له اية تدل على انه واحد قوله تعالى وما تغني الايات والنذر يعني الرسل عن قوم لا يومنون وهذا في حق
اقوام علم الله انهم لا يومنون لما سبق لهم في الازل من الشقا فهل ينتظرون يعني مشركي مكة الا مثل ايام الذين
خلوا من قبلهم يعني من مضى من قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعني وقايع الله في قوم نوح
وعاد وثمود والعرب تسمي العذاب اياما والنعم اياما كقوله تعالى وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينتظر هولا
المشركون من قومك يا محمد الا يوما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة اهلكناهم
جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك قل فانتظروا يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب اني معكم من المنتظرين يعني هلاككم
قال الربيع بن انس يخوفهم عذابه ونقمته ثم اخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم نجى الله رسله والذين امنوا معهم من ذلك
العذاب وهو قوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين امنوا يعني من العذاب والهلاك كذلك حقا علينا ننجي المومنين يعني

Copyright © King Saud University